# التجريب في روايات عز الدين جلاوجي

الأستاذة : صورية جيجخ
قسم اللغة العربية و أدابها
كلية الآداب و اللغات
جامعة بسكرة- (الجزائر)

**ملخـــص:**

تهدف هذه الدراسة الأدبية التطبيقية إلى البحث في آليات التجريب الروائي الجزائري باعتباره هاجس كل مبدع ومركز اهتمامه، فقد صارت الرواية الجزائرية أرحب صدرا لكل المستجدات، ثائرة على كل ما هو قديم. ومن خلال ذلك سنتوقف عند بعض روايات الأديب" عز الدين جلاوجي " الذي سار على نهج المجددين، مؤسسا تجربته الروائية الحداثية على التغيير، وسنحاول الكشف عن مدى فاعلية التجريب التي خاضها ويخوضها، والوقوف عند بعض التقنيات السردية الجديدة التي اعتمدها في رواياته.

**Résumé:**

La présente étude littéraire pratique tente à explorer les modalités de l'expérience romanesque algérienne, en tant que préoccupation majeure de tout énouvateur. Ainsi le roman algérien s'est réouvert sur toutes les actualités locales et internationales, en délissant tout ce qui est archaique et dépassé par le temps.

A travers un certain nombre de romans du romancier Azzeddine DJLAOUDJI, qui est considiré comme énovateur en la matière, nous allons essayer de mettre à jour l'éfficascité de l'expérience mené par lui-même en tant que romancier, et de s'arrêter sur un certain nombre de techniques narationelles qu'il a adopté dans ses œuvres.

**تمهيد :**

صار للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية أهمية بارزة، اكتسبتها بفضل عملها على التغيير المستمر، فراحت تغري النقاد بمظهرها المتجدد، الذي لا يعرف الاستقرار على حالة واحدة، لتحفّز القارئ على اكتشاف المزيد من نصوصها وإبداعاتها، فراحت تمتطي مضامير التجريب، وتمارسه على مختلف أنواعه وأشكاله.

وقد حققت الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال كثيرا من التميز، وإثبات الذات والخصوصية وراحت تلج بقوة عتبات التجريب والحداثة، مما مكنها من احتلال أفق ثقافي رحب على الساحة الدولية، وخاصة العربية، فأفق الرواية صار أوسع وأرحب صدرا متهيئا لكل المستجدات، التي تطرأ على المجتمع فصارت ذات قابلية للاحتواء.

لذا كان الإبداع الروائي الجزائري قرين التحولات الاجتماعية والاقتصادية اللااستقرار أيضا، وتعد فترة التسعينيات من القرن الماضي ومطلع القرن الواحد و العشرين خير شاهد على تنامي وتيرة الإبداع الروائي، الذي ساير القلق الاجتماعي، وحاول المتخيل أن يجسد الواقع بأفق فكري هادف، وأصبح الروائي يعايش هذا القلق، ويسعى بكل جد إلى البحث عن أشكال وطرق تستوعبه وتفهمه وتخرجه من دائرة اللاوجود وتمنحه هويته وبصمته الخاصة.

وراح المبدع يبحث عن ضالته في كل ما هو جديد ومستحدث ومبدَع، تاركا وراءه التقاليد البالية، والمحاكاة التي لم يعد يجد فيها ضالته، أما القارئ فنجده فقد متعة القراءة في ظل إعادة اجترار نفس المضامين والأشكال.

وبذلك صار التجريب هاجس كل مبدع، ومركز اهتمامه، فبرزت أسماء لامعة ركبت سفينة التجريب، مبحرة نحو اللامحدود، باحثة لنفسها عن التميز، كرشيد بوجدرة، واسيني الأعرج، وأحلام مستغانمي وآخرون، هؤلاء بعض الأسماء التي راحت تواكب التجديد وتتبنى التجريب على مستوى الشكل والمضمون، ثائرة على كل ما هو قديم، وقد سار جلاوجي على نهج المجددين، مؤسسا تجربته الروائية على هاجس التجريب والحداثة، رغبة منه في المغايرة، هذا ما جعل رواياته في حالة تشكل دائم وعليه سنحاول استقراء بعض

رواياته، و مدى انفتاحها على التجديد بكل أنواعهو أشكاله المختلفة، و هل جاءت عاكسة للرواية الجزائرية المتفاعلة مع متغيرات الزمن؟ خصوصا في مرحلة مواجهة الذات الجزائرية للأزمات و التغيرات و ما نتج عنها من وجهات
نظر مختلفة. فأين عز الدين جلاوجي من التجريب الروائي؟ وما مدى فاعلية تجربة التجريب التي خاضها ويخوضها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه بالغوص في أعماق تجربته الإبداعية.

وقبل ذلك سنتوقف عند مفهوم التجريب، الذي سار جنبا إلى جنب مع الرواية عبر تطوراتها التي لا تعرف حدا، فهناك من ذهب إلى أنه "أفق كتابة صادر عن هاجس التجديد الذي لا يتحقق إلا عبر التحرر من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية"1، ولأن المبدع لم يعد يجد ضالته في الأشكال التقليدية المستهلكة وربما صارت عاجزة عن استيعاب همومه من الحياة المعاصرة فأضحى " التجريب قرين الإبداع، لأنه يتمثل في ابتكار طرائق و أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف، ويغامر في قلب المستقبل، مما يتطلب الشجاعة والمغامرة."2

وهاهو جلاوجي يحاول الانفلات من نمطية الكتابة و سنتوقف عند بعض المظاهر التي ***نراها تندرج في مضمار التجريب والمغايرة :***

***1- جدلية المتن والحاشية :*** وهنا أراد الكاتب إعادة الاعتبار للهامش؛ ليجعل منه نصا موازيا للنص المتن ليصبح هامشا سرديا ضروريا لا مفر منه، لأنه متمم لما جاء في المتن، ويفيد التواصل بما قبله وما بعده لإنتاج الدلالة، أما في حالة تجاوزنا له فإننا نحس بانقطاع النفس السردي للرواية وهذا ما نجده في رواية" سرادق الحلم والفجيعة" أين تتعقبنا هوامش كثيرة تضاهي المتن أهمية، وتفرض نفسها على القارئ فيقول الكاتب:" يا غرباء الأرض اتحدوا..."3ويلحقها بهامش لا مناص منه عبر إشارة منهجية وضعت فوق كلمة "غرباء"تحيلنا لهامش نصه كالآتي:" قيل أن أول ما أحس به أبو الإنسانية لما خرج إلى الوجود هو الغربة الأجاج...ورغم كل ما فعل من أجل إشباع نهمه إلا أن هذا الإحساس

في ذريته ما فتئ يتنامى لحظة بعد أخرى."4

كذلك في حديث الشاهد عن حبيبته نون فيقول: "أكتب رسالة لحبيبتي نون "5 فلو حدث وتجاوزنا الهامش لجهلنا الكثير عن هذه الحبيبة الغامضة، فهناك إشارة عند كلمة نون تستوقفنا للعودة إلى تفسيرها، وتتمة معناها في الهامش الذي يواصل كالتالي:" وأنا في الحقيقة لم أستطع أن ألملم شتات ملامحها، لقد رأيتها وعبقتها لحظات ليس إلا، فعلق حبها بقلبي، وقضيت منذ ذلك العمر أبحث عنها وما وجدتها، كأنما هي شعاع تناهى في الدقة حتى عجزت عن إدراكه، ولعلها أقرب إلي من حبل الوريد..."6، فإعادة الاعتبار للهامش على حساب المتن، مظهر من مظاهر التجريب الذي اعتمد عليه جلاوجي فهو: " حيلة سردية تهدف إلى إعادة الاعتبار للهامش وتأكيد قيمته بما يوازي المتن، بعيدا عن العلاقة التقليدية التراتبية التي تستند إلى تفضيل المتن على الهامش"7، فقد حاول "جلاوجي"تسليط الضوء على كل ما هو مهمش ومنسي، ومن ناحية أخرى راح يبتدع طرقا جديدة ومستحدثة في الكتابة، تخرج القارئ من روتين الكتابة التقليدية المألوفة.

وربما تعرقل هذه التقنية المستحدثة في الرواية القارئ، وتقطع عليه متعة القراءة من جهة إلا أنها من جهة أخرى التفاتة ذكية من المبدع؛ تجعل من القارئ شخصا مدمجا في النص، ولعله أيضا أراد التخلص من مركزية المتن وأنانيته، وإعطاء الفرصة للهوامش بالظهور، وموازاة المركز في أهميته، أو على الأقل تبادل الأدوار بينهما، وبذلك يبحر المبدع بالقارئ من سجن التقليد نحو آفاق التجديد.

***2- شعرية اللغة :***

تعتبر الشعرية من أكثر المصطلحات رواجا في الساحة النقدية، لذلك تعذر علينا القبض على مفهوم دقيق ونهائي لها، لعدم ثبوتها على حال فهي رهينة متغيرات الزمن، وبشكل عام عرفت بأنها:" قوانين الخطاب الأدبي "8، ويرى جان كوهين أنَّ الشعرية تقوم على أساس الانزياح فهي:"انحراف الكلام عن نسقه المألوف"9، ويذهب كمال أبوديب إلى أن الشعرية هي:"الخروج بالكلمات عن معانيها القاموسية المتجمدة."10

ولم تقتصر شعرية اللغة على الشعر بل تعدته إلى النثر أيضا، لتمس بذلك مختلف الأجناس الأدبية وبالدرجة الأولى الرواية؛ باعتبار هذه الأخيرة جنسا مضيافا ومنفتحا على جميع الأشكال، وبفضل مرونتها استفادت الكثير من التقنيات الحديثة، واستثمرتها لصالحها لتضفي عليها أبعادا جمالية .

وتعتبر اللغة عنصرا أساسيا تقوم عليه الرواية، ومن خلاله تتبدى لنا العناصر الأخرى التي لا تقل أهمية عنها كـ(الزمان، المكان، الشخصيات...)، "وباللغة تنطق الشخصيات وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب"11، فاللغة أداة طيعة بيد الكاتب يدعوها فتستجيب له، ولطالما أتقن "جلاوجي" لعبة الكتابة وجعلها مغرية تسحر المتلقي؛ لينجذب إليها دون وعي، وعليه سنحاول التوقف عند رواية " سرادق الحلم والفجيعة" وترصد شعريتها عبر ظاهرة الانزياح إذ نجد أن اللغة في هذه المختارة قد خرجت عن وظيفتها الابلاغية إلى الإيحائية الرامزة؛ لنلحظ أن جلاوجي يكتب بلغة شعرية مكثفة دلاليا؛ ونلمس هذا حين يخاطب الشاهد المدينة قائلا:

"أيتها المدينة المومس....

إلى متى تفتحين ذراعيك للبلهاء..؟؟

إلى متى ترضعين الحمقى والأغبياء...؟؟

إلى متى أيتها المدينة تمارسين العهر جهارا دون حياء...؟12

نجد أن السارد قد شبه المدينة بامرأة منحطة أخلاقيا، تمارس العهر جهارا، ليجد القارئ نفسه أمام مشهد غريب يوحي بالفساد والدناسة، كما اعتمد جلاوجي على تقنية التشخيص( بث الحياة في الجماد)، من خلال هذا التشبيه الذي رسمه لنا، وتتواصل رمزية جلاوجي الساخرة في قوله: "ترضعين الحمقى" وهي إشارة ضمنية إلى هؤلاء المفسدين والمستنزفين لخيرات البلاد بدون حق، وقد أكدت هذه الاستعارة نذل تلك الفئات التي استباحت الفساد في البلاد، وفي قوله: "تمارسين العهر جهارا" يبين الحالة المزرية التي آلت إليها البلاد من تجاوزات وظلم صار يمارس جهارا وفي وضح النهار بدون حياء.

ويخاطب الشاهد حبيبته "نون" قائلا:
"تداعبني شفتاك كقطرة ندى وتحدثني نفسي أن أصفعك...أتحداك...
أعشق الدمع في عينيك...يذكرني برذاذ المطر على صفحة بحيرة هادئة...أتحرك...
تخونني يداي رجلاي كل عضو في جسدي المتعب يتآمر ضدي...يسري الضعف في كل فجاجي...
إليك أهرع كطفل صغير أفزعته الذئاب...
ضميني إلى حضنك...
هدهديني بجفون عينيك إلى القلب الملتهب...
دعيني أكن قطرة حمراء تعدو متوهجة جذلى في شرايينك.."13 فعند مناجاته لحبيبته "نون"
( تداعبني شفتاك، ضميني، أهرع كطفل..) نحس أن الشاهد متشوق لاسترجاع حبيبته نون/الجزائر الجريحة، ويأمل بعودة الأمان والطمأنينة لبلاده, ونجد التكرار في أكثر من موضع في الرواية ومن أمثلته:" الهوى مركبي...والهدى مطلبي...فلا أنزل عن مركبي...ولا أنا أصل إلى مطلبي...أنا بينهم مأخوذ عن حقيقة الخبر بتمويه العبارة..."14 فقد كرر ضمير المتكلم "أنا" في أكثر من مقطع، ويوحي بضياع أنا الشاهد/الجزائر وسط الانكسارات والخيبات، ومحاولته الخروج من هذه الدوامة؛ لكن بدون جدوى، فهو غارق في مدينة الضياع، ويتواصل الإحساس بالغربة في قوله:"وأنا الغريب...أجرع الفزع المرير...أنا الغريب أيها الغرباء...السعداء...التعساء..."15
وتتوالى الانزياحات في الرواية إلى حد أنك تتوهم بأنك بصدد قراءة قصيدة شعرية فالرواية طافحة بالرموز والمجاز، مثقلة بالغموض والدلالات، لتتحقق عبر ذلك شعريتها، وتتكون جماليتها عبر هذا التشكيل الإيحائي.
وفي قراءتنا لأغلب المقاطع السردية لرواية" سرادق الحلم والفجيعة " نحس أن ألفاظها منتقاة، نابعة من حس شاعري مرهف، يتخللها نسق إيقاعي جميل، ذات لغة انفعالية،

تعبر عن نفسية قلقة تبحث عن الاستقرار والأمان، وهذا ما تجلى من خلال بحث الشاهد عن نون / الجزائر المستقرة .

وبهذا تجاوز جلاوجي اللغة السردية المباشرة، وسعى إلى الانزياح عن اللغة المعتادة؛ نحو لغة شاعرية قائمة على التجاوز والتعدي، ليرسم بها ملامح مغامرته التجريبية.

وهنا نتساءل عن السبب الذي يجعل جلاوجي يتمنع عن اللغة العادية في الرواية ؟

هل هو هاجس التجريب والحرية؟ أم أنها الحالات الانفعالية التي تعجز اللغة العادية عن استيعابها فيستنجد في ذلك بلغة الشعر، كلغة أعلى وملجأ يحميه.

***3- العنونة :***

يعتبر العنوان أولى العتبات التي تقع عليها العين، وتجلب الانتباه، فتستفز القارئ وتدفعه للقراءة، وعليه" تأتي إستراتيجية التسمية العنوانية في مقدمة المهام الجمالية الخلّاقة الممثلة للتجربة الذاتية. "16، وبه يميز كل كتاب عن آخر فـ"العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه"17

فالعنوان المكثف دلاليا، المغري بصريا، يولد رغبة ملحة في القراءة، فتنجذب العين إليه، ومن خلاله نحس بلذة القراءة، والشغف إليها، فيأسرنا العنوان المميز بكل ما فيه من تركيب مقتصد إيحائي، يفتح شهية المقبل على القراءة، هذا ما نجده في روايات جلاوجي، و أول ما تقع عيناك على عناوينه، تبعث في كوامنك عشق القراءة، وتحيي بدواخلك شغف المطالعة، فتدفعك إلى استكشاف ما وراء هذه العناوين المغرية التي تعرض نفسها عليك وتبيح نفسها لك .

فنذكر على سبيل المثال رواية **"الرماد الذي غسل الماء"، "الفراشات والغيلان"، "سرادق الحلم والفجيعة" "راس المحنة"**.... فأسلوب الإغراء يولد الإقبال والتهافت على القراءة ،ويحثّ عليها "فالعنونة بحد ذاتها تجربة جمالية" 18

ولعل الاهتمام بالعنوان كان آخر ما يفكر به الروائي في الرواية الكلاسيكية فهو بنظره شيء هامشي، على خلاف المضمون الذي يمثل مركز اهتمامه كالشخصيات والزمكان وغيرها من العناصر الفنية لجنس الرواية .

غير أن الرواية المعاصرة أعادت الاعتبار للعنوان؛ إذ توليه استراتيجية خاصة لما يولده هذا الأخير من توقعات، ومن كسر لأفق الانتظار، فهو محمّل بالمفاجآت .

هذا ما جعل **أمبرتو أيكو** يقول: " إن على العنوان أن يشوش الأفكار، لا أن يحصرها"19 فالعنوان المكثف دلاليا يكون أكثر قابلية للتأويل، لما يحتويه من رموز، ويفتح مجالا للتعدد الدلالي، ويكتسب أكثر من معنى، لأنه ثري بالدلالات، عامر بالمفاجآت، يستقطب القراء والنقاد، فالإنسان بطبيعته تجلبه الأمور الغامضة، فغالبا ما يستفزنا العنوان للقراءة فلا نفهم معناه أو مغزاه إلا بعد الفراغ من القراءة بعينها، وحتى تلك اللحظة قد يبقى العنوان غامضا، يثير فينا عدة تساؤلات تلح على طلب الإجابة، وهذا هو هدف المؤلف إثارة الفضول وتحريض على فعل القراءة، وجعل المتلقي يحاول إعادة إنتاج نصه، مما يجعل هذا الأخير طازجا قابلا للتجديد والتأويل.

فالعنوان هو أولى خطوة للتمرد عن المألوف، وتجاوز السائد، هذا ما نجده في واحدة من روايات جلاوجي: **"الرماد الذي غسل الماء"**، و أول ما نقرأ هذا العنوان نحس بأن هناك خطأ تعبيري، فالأصل الماء الذي غسل الرماد، لكن هذا العكس كان مقصودا يحمل أبعادا دلالية، فهو يسفر عن عكس القيم في الرواية، وانقلاب للموازين، ثم إن المدينة في الرواية حملت اسم " عين الرماد"وهي مكان مركزي لأحداث الرواية، وأهم ميزة للرماد هو لونه القاتم وأنه يمثل النهاية والزوال بطريقة مأساوية، أيضا الرماد آخر كل شيء بعد الاحتراق كما يتسم بلونه الداكن، مما يضفي المأساوية، وهو حال شخصيات الرواية التي تعيش كل منها في محنة ومأساة .

وعنوان " الرماد الذي غسل الماء " يحيلنا إلى المتن الذي يعالج قضية تحقيق أمني في قضية اختفاء جثة هاربة، بلغ عنها " كريم السامعي " فيتهم بالقتل، في حين يفر القاتل الحقيقي " فواز" الذي تساعده أمه "عزيزة الجنرال" في التنصل من هذه الجريمة، إضافة إلى محنة "فاتح اليحياوي "هذا المثقف المضطهد المحاصر من طرف السلطة، ليقرر العيش منطويا على هامش الحياة، يراقبها في صمت .

فأغلب شخصيات الرواية طغى عليها الرماد، وهو تجسيد لشراسة هذا الأخير الذي يرمز للشقاء والفناء، و تراجع الماء وقلته؛ والذي يوحي بقلة الهناء و صعوبة الحياة.
فالضياع يلف مدينة "عين الرماد "ومن فيها، أهي المدينة الملعونة التي لن ينجو من لعنتها أحد؟
إنها مدينة الضياع؛ ضياع الأخلاق وانعدام القيم ،وانتحار أحلام الشباب على صدرها وفيها لفظ الحب آخر أنفاسه .
إنها مدينة تبيح هيمنة المركز وغطرسته على حساب كل شيء والذي تعتليه"عزيزة الجنرال" وتهميش الرعية من المثقفين والبسطاء من العامة لتبتر أحلامهم، وتسحق طموحاتهم بقلب بارد .
أما العنوان في رواية **"راس المحنة 1+1=0"** فانه يحيل إلى معادلة غير منطقية وغير معقولة، تكشف عن واقع متردي، انقلبت فيه الموازين، وانهارت فيه القيم، ويعكس سياسة الجزائر في التسعينيات إبان العشرية الحمراء؛ هذه الفترة ـ التسعينيات ـ التي بذلت فيها الطبقة السياسية قصار جهدها لتركيز المركز، وتهميش الهامش، وخلق الفوارق، فقام الكاتب بتعرية السلطة، وكشف ألاعيبها، فالعنوان رمز لهذه اللعبة السياسية؛ التي راحت تتلاعب بمصير شعب ضحى بدمه في سبيل التنعم بخيرات الاستقلال، لكنه يقابل بالإجحاف والاضطهاد، رغم أنه من صنع الاستقلال، كذلك هو شأن" صالح الرصاصة "وهو المجاهد وابن الشهيد، فكان جزاؤه بعد الاستقلال البؤس الشقاء والاضطهاد لينتهي به الأمر إلى الطرد من عمله بالمشفى، واتهامه بالجنون، لأنه آثر قول الحق، فتحول من صالح الرصاصة إبان الثورة، إلى صالح المجنون بفترة الاستقلال، في المقابل يتمتع " امحمد لمامد بن الحركي" عميل فرنسا بنفوذ واسع و بخيرات الاستقلال، و بالسلطة المركزية، ليتصدر كل شيء؛ ويرتقي لمنصب رئيس البلدية، فنلاحظ تبادلا في الأدوار، وعكسا للموازين، لعبة سياسية قوامها الغلبة، والطرق الملتوية؛ إنها معادلة غير منطقية 1+1=0 .
وهكذا يصبح العنوان مركز اهتمام الرواية الحديثة، لأنه يمثل" بطاقة تعريف تمنح للنص هويته"20، ومحط عناية جلاوجي؛ الذي عودنا على عناوينه المحيرة والمستفزة، وهي

إبداعية تحتضن الكثير من الحداثة، ليترك المجال للقارئ للتأويل والتفسير، عله يأتي بشي جديد لم يكن في الحسبان، وهذا هو هدف الكاتب المبدع .

***4- التراث :*** حضر التراث الإنساني بدلالات مختلفة تبعا لمتغيرات الزمن، ويعد توظيف التراث في الرواية إحدى تقنيات التجريب الروائي، ودليل على حداثتها من خلال التأصيل والرغبة في الاستثمار بطابع خاص، كما يعكس أبعادا مختلفة بتطعيمه بدلالات مكثفة ويهدف الكاتب من خلال استحضاره للتراث في نصوصه الروائية إلى تحقيق حداثة متنه، الحكائي وأنساق خطابه، ومستويات لغته وأسلوبه، عبر استرجاع النص التراثي وتمثله، بغية البحث فيه، وعما يمكن أن يستوعب بعض إشكاليات الراهن، ويعبر عنها بأشكال جمالية جديدة تجذر الهوية الثقافية والحضارية، وهكذا نجد أن عز الدين جلاوجي ينطلق في استحضاره للتراث من منطلق التعدي والتجاوز، لا المحاكاة والتقليد، فيرسم بذلك معالم رواياته بطريقة مميزة، ذات طابع خصوصي تعكس شخصيته وثقافته .

والتراث بمثابة:"خزان نصوص لكل ذي وجهة أو مترع أن يستخرج منه الشاهد الذي يبحث عنه لممارسة السجال أو الصراع، ويدعم بذلك مكامنه بادعائه تمثيل التراث، وأنه امتداد له، وبذلك يعمل على تثبيت مشروعية وجوده وشرعية خطابه"21

فقد اشتغل جلاوجي في روايته"راس المحنة" على السيرة الشعبية متخذا من تغريبة بني هلال نموذجا لها، من خلال استحضاره للشخصية التراثية "الجازية" ليبين من خلالها رؤياه المعاصرة ونحس أن "الجازية" في السيرة تتقاطع مع الجازية" في الرواية في مواصفاتها فهي المرأة الفاتنة التي يحلم بها الجميع "فهي الغزالة الشاردة كلما أمعنت فيها سهام الصياد ازدادت كبرياءً وجمالا وفتنة. "22

غير أنها بقدر ما تحاكيها فإنها تتجاوزها لتحضر "الجازية" في "راس المحنة" في شكل امرأة معاصرة رمزا للتمرد وعدم الخضوع ومثالا للمرأة الجزائرية المتصدية للصعاب، كما يبرز لنا بوضوح تقاطع الحروف بين "الجازية" /"الجزائر" فهي بحق تمثل الوطن في العطاء والجمال والصبر.

وعليه فالتراث "دخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الانسان وعلاقته بالأرض"23 فقد استطاع جلاوجي أن يضيف إلى "الجازية" دلالات جديدة ومعاصرة تتماشى مع التغيرات، وروح العصر، غير أنها تبقى في جدلية التفاعل مع التراث بين التشابه مرة والتجاوز في أخرى، فالعودة إلى التراث "ليس فقط من أجل الارتكاز عليه، والقفز إلى المستقبل؛ بل من أجل تدعيم حاضرنا، ومن أجل تأكيد الوجود وإثبات الذات"24

وهكذا استحضر جلاوجي التراث ليعبر عن أفكاره ومن خلالها إثراء تجربته الروائية وتأصيل الهوية الجزائرية وأعاد الإعتبار للتراث الشعبي الذي أضحى في طي النسيان راسما بذلك تجربته الروائية الحداثية

**الرمز**

إن الرمز من أكثر التقنيات التي يكثر استخدامها في النثر والشعر على حد سواء، لمواكبة الحداثة، ويذهب **أدونيس** في تعريفه له إلى أنه: "ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص"25

وقد استحضر الكاتب بعض الفئات التي تتصارع فيما بينها من أجل السلطة والسيادة بطريقة رمزية، ممثلة في شخوص حيوانات وأسماء غريبة كالذئاب والفئران والدود والغربان والشيخ المجدوب ونعل وغيرهم؛ فتعم الفوضى أرجاء المدينة وتولد الفتنة من رحم التعفن والفساد، ويصيبها الطوفان الذي يأتي على كل شيء، وسنحاول أن نزيح اللثام عن بعض الشخصيات التي حضرت في الرواية بطريقة رمزية ساحرة وموحية.

* نون وهي حبيبة الشاهد التي فقدها وافتقدها فيبحث عنها في كل مكان ويناجيها بأعذب الألفاظ وأرق العبارات على أمل أن تسمعه وتلبي نداءه، ويخاطبها في هذا المقطع قائلا :

"أو لم تكوني يوما ابتسامة بريئة أرصِع بها قلبي المتوهج؟؟

أو لم تكوني يوما نوارا يملأ الأيام الضاحكة؟؟

أو لم تكوني يوما...موجا...شوقا يدغدغ أعماقي بأوتاره الرنانة؟" 26

فالحبيبة نون هي نفسها الجزائر المغتالة، الجزائر الحلم التي يشتاق إليه الشاهد، والذكرى التي يحن إليها،أو لا تغدو أن تكون إلا مجرد حلم جميل.

"هل صدقا لقيتها...؟سبحت في فضائها...؟نشقت أريج الروح منها...؟

لعل الأمر لا يعدو أن يكون حلما جميلا" 27، فالحبيبة "نون"/ الجزائر قد تاهت في ظل التناحر والفوضى، واغتيلت من قبل أبنائها، وهاهو الشاهد يبحث عنها، وراح يسأل النجوم عنها، وأغلب الظن أن "نون " ترمز إلى الجزائر المستقرة في الماضي: "حدثتك طويلا وظللت صامتا...كنت في حضرتك يا درويشتي...أمارس طقوس الحلول...كنا جسدا واحدا يا أنا فصرت نصف جسد...خانتني الكلام وظللت صامتة كالآلهة..."28

وتستمر رحلة الشاهد عن نونه الضائعة،"قالت بعض النجوم: إنها قد رأتها بين جبال شاهقات في وديان ساحقات، تتهاوى عليها الصخور من كل فج عميق، وهي تستغيث فلا تغاث إلا بالإهمال واللامبالاة، وتستنجد فلا ينجدها إلا الصمت الرهيب المتوحش.."29.

وهنا تقترب وجهة نظرنا ؟أكثر إلى أن "نون" هي نفسها الجزائر المغتالة.

"وقالت نجمات أخريات :لقد رأين أغرابا ذو أعين من نار...وأسنان من مسمار...وأياد تشيع الدمار...يجرون يالعار حبيبة القلب من ذراعيها البلورتين ويغربون بها باتجاه عين ضمئة حيث تنتظرها أرض جدباء..."30

ويطرح الشاهد أسئلة حائرة في رحلته للبحث عن نون ولا يجد لها جوابا، فالشاهد/ الكاتب يبحث عن حبيبته والتي هي الجزائر التي ضاعت في العشرية السوداء في ظل الفساد والدماء، والموت والدمار، الذي صار وجها اعتياديا للمدينة.

"وراحت عيناي كالأرجوحة تجولان السماء الرحبة أين القمر؟ لا قمر...أين القمر؟؟ هاهو يصارع سحابة سوداء تعصره بكلتا يديها...وهاهو وقد تملص منها يبد مرهقا خافتا أسود الخدين حزينا."31

يوحي هذا المقطع السردي إلى الحزن الذي خيم على الجزائر في العشرية السوداء، والتوتر الذي سادها فالموت صار شيئا مألوفا اعتياديا.

* ***الغراب :*** ويمثل الحزب الحاكم "وكان الغراب على رأس أكبر حزب في المقهى كلها سماه حزب جماهير الديمقراطيات الشعبيات" 32

ويحيلنا إلى الحزب الحاكم في تلك الحقبة، وشعاراته الجوفاء، واستغلاله لكرسي السلطة لخدمة مصالحه، واستنزاف خيرات الشعب، وتحريضهم على التناحر وسفك الدماء، " أنهى الغراب خطبته العصماء بقوله: ...يا...الأخذان...منقاري خلفكم، ومخالبي أمامكم، وحذري محيط بكم، وليس لكم والله إلا بطني، به تحتمون، وإليه تعودون، وحول كعبته تطوفون...إنه من الغراب، وأنه باسمي العظيم أن آتوني خانعين خاضعين...تائبين...عابدين...باخعين راكعين...ساجدين...وإني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها..."33

هذا الخطاب مكثف دلاليا قائم على بناء أسطوري متفاعل مع أشكال ابداعية مجاورة كالتناص التاريخي والديني والحكائي بغية رصد مفارقات الراهن، بلغة رمزية ساخرة، و إحالتنا إلى التحكم التام لذوي النفوذ في رقاب الشعب، و الذين يرضخون للسلطة تحت الضغوطات والتهديد.

* ***نعل :*** وهو يرمز للعملاء التابعين للسلطة تستخدمهم لقضاء مصالحها، وتنفيذ جرائمها يتسمون بالخنوع والخضوع التام لأسيادهم، يلهثون وراءهم طمعا في رضاهم، لذلك رمز لهم الكاتب باسم نعل، لأنهم كالأحذية التي ترفس وتنتعل، ولا تطيق إلا أن تتقبل ذلك بصمت، "من بعيد أقبل السيد لعن أقصد نعل عجلا كالكلب...وفي عينيه تفور حمم طامية وتتسايل عند قدميه"34

* ***النسور:*** ويرمزون للجماعات المسلحة التي اتخذت من الجبال أوكارا لها، "قيل أن النسور تملك قوى سحرية خارقة لا نحيط بها خبرا وحدهم في مكامنهم يوجدون الأسلحة...والألبسة...والأطعمة...والذهب...والفضة...والجواهر المختلفة الأنواع..."35

ويواصل الكاتب حديثه عن النسور متسائلا عن ماهية طبيعتهم؟ وأين يسكنون بالضبط؟ وأين يختفون؟ فيقول: "ولكن أين مكمنهم الذي دوخ الجميع حتى نسجت حولهم الأساطير والخرافات وألفت القصص والروايات أهم تحت الأرض؟ أم هم في البرج

الصخري المقام في أقصى المدينة تسعى...؟"36

وما يدل على أن الكاتب يقصد بهم الجماعات المسلحة تحميله لهم المسؤولية في الخراب الذي لف المدينة، والدمار الذي آلت إليه في قوله: " ما الذي حل بالمدينة إذن؟ لاشك في وجودهم المهم أنهم موجودون ثم هم بعد ذلك نسورا أم غير ذلك لا يهم....لاشك أنهم يحيطون أنفسهم بالسرية التامة وبطرق تمويهية عجيبة...ولاشك أنهم يستغلون من أجل ذلك وسائل لا تخطر على بال..."37

* ***الشاهد :*** رمز للمثقف الواعي و العاجز عن تغيير الأمور، واكتفائه بالمراقبة والمشاهدة يقول الشاهد:" وداهمني طوفان شهوتها وشبقيتها لم أتحرك من مكاني بقيت بعيدا أشاهد مايقع...."38 ويردف قائلا: "وبالفعل هاأنذا أبقى بعيدا متفرجا...مجرد متفرج سلبي لا يقدر على شيء"39، وهو شاهد سلبي رغم وعيه التام لما حوله إلا أنه لم يقم بتحريك ساكن واكتفى بالمراقبة، والحسرة والألم لفقدان حبيبته، وهذا الصمت راجع إلى انعدام حرية الرأي والتعبير، تحت ضغوط وتهديدات السلطة، ويحاول جاهدا مقاومة الفساد والرذيلة، وعدم الانغماس فيها، غير أنه بقي مرتعبا خشية الاستسلام لإغراء المدينة المومس.

وهذا دليل على الخناق الشديد الذي يعيشه المثقف؛ فالشاهد يعيش غربة نفسية كبيرة يحس أنه في مكان لا ينتمي إليه، هذا ما جعله يائسا لأن الأغلبية منغمسة في الرذيلة، ولا أحد يعزز موقفه أو يساعده على التغيير والإصلاح؛ فيحن إلى الأيام الخوالي مع حبيبته نون/الجزائر؛ التي لم يبق له منها إلا الذكريات الجميلة.

* ***الإله قبحون :*** أغلب الظن أنه يرمز إلى الدول الرأس المالية؛ التي تنتهج العولمة، أو كما تدعى دول النظام العالمي الجديد التي تمثل أمريكا قمة هرمه*40 تتحكم في مصيرنا ومصائر الدول العربية، فحقيقة الحكم عندنا أنه مسير من أيادي خفية لها يد في تسيير أمورنا، لأننا مازلنا بصدد التبعية السياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات، فيقول الشاهد:

" أما الطريقة فهي أن يقف المترشحون للرئاسيات صفا واحدا،وتحت مرأى الجميع وسمعهم،سترسل الأرواح الطاهرة الزكية من عالم الغيب، بمباركة الإله قبحون طائرا لسنا ندري شكله و لونه وحجمه، وسيحط على من يرى فيه الصلاح، ومن حط عليه فقد

اختاره الإله لقيادتكم وسياستكم، وهكذا نكون قد فقنا كل المدن والقرى الأخرى في طريقة اختيار الأكفأ...الأجدر...الأنسب...الأصلح..."41

* ***الأحذية :*** ترمز للغطرسة والقوى المسيطرة، ولكل تسلط أو للجماعات المسلحة في كل التنظيمات العالمية التي تسعى إلى العنف والترهيب، "أحذية عسكرية ثخينة ثقيلة كبيرة...مئات الآلاف مرتبة خلف بعضها بعض ترتيبا عجيبا تملأ الشارع كله وتضرب معا جميعا ضربة واحدة في استعراض عسكري بهيج...."42

هذه الأحذية التي تملأ القلوب رعبا، وتزرع الهلع في النفوس" تزداد خفقات قلبي...مع كل دقة على الأرض...مع كل إطلالة الرؤوس الشيطانية أقفز على إيقاع الأحذية مبتعدا والرعب يسيج...يحنط كل جسدي..."43 فالأحذية رمز للفساد السياسي، واستبداد السلطة، وكل ماهو تابع لها.

* ***المدينة المومس :*** حضرت المدينة في الرواية كشخصية فاعلة، وليست مجرد ركام ثابت ومباني ومعالم ساكنة، مقترنة بصورة امرأة فاسقة منحلة الأخلاق، تتحرك وتتنقل وتغري الناس بثوبها الشفاف " تقهقه المدينة العاهرة في سمعي...تتهادى أمام بصري في ثوبها الشفاف...يتصاخ ثدياها شكوتاها...تضرب على الأرض بكعبها...تدندن أغنيتها المفضلة."44 ويواصل الشاهد وصفها فيقول عنها: "مدينتي مبغى كبير"45

فاقتران المدينة بمواصفات المرأة الخليعة، تجسد وجها من أوجه اغتيال المدينة المتحضرة المتمدنة، المدينة التي تتسع فكرا وحضارة، وتحويلها إلى مدينة محفوفة بالخيانة والخديعة في الظل التغييرات والمآسي التي شهدتها بعض مدن الشمال في جزائر المحنة، وهاهي المدينة تسقط ضحية هذه الفوضى لتقع في الرذيلة وتنغمس في الخطيئة " وتسعرت المدينة فلملمت أطرافها...أزقتها...قذارتها...نتانتها...ودخلت الحلبة ترقص متهرئة اللحم يصفق ثدياها..."46

فالمدينة هنا "تطعن الذاكرة وتخرمها، لأن المدينة هي ذاكرة مكانية للزمان والمرأة هي ذاكرة حياتية للأجيال والتحولات"47

فالمدينة التي تجلت في صورة المرأة المومس، تحيلنا إلى الحقبة الزمنية المتمثلة في العشرية

السوداء، وإلى الأحداث والتغييرات التي لونت الجزائر بالأسود والأحمر .
فمواصفات هذه المدينة تبعث على النفور المنبثق من حاضر المدينة وما آلت إليه، فهذا التدنيس للمدينة يؤدي إلى النفور منها، لتزرع في ذهن المتلقي ضرورة الابتعاد عنها والخروج منها، فهي ملوثة تبعث على الاختناق والتقزز.
لكن من اغتال المدينة؟ ومن الذي دنس شرفها وقهقرها لعالم الرذيلة والانحطاط؟ ومن هم الذين هدموا قيمها؟
فالمدينة المومس ليست سوى تعرية فاضحة للواقع، وتمثل الوجه الأسود المتردي لحاضر الجزائر، في العشرية السوداء، وتصريح للتجاوزات السلطوية على حساب الشعب المهمش، فالمدينة المومس ترمز لزمن مهووس بالرذيلة غارق في الفوضى.
لقد حققت الشخصيات الرمزية الكثير من التكثيف اللغوي والدلالات وقد اعتمد جلاوجي على عنصر الإيحاء كخاصية جمالية مستحدثة في الرواية الحديثة وراح يستثمر هذه الرموز للتعبير عن وطنه الضائع في العشرية السوداء، وقد ساهمت هذه الرموز والإيحاءات إسهاما عظيما في التأثير على نفسية القارئ والإيحاء له بالأجواء النفسية السوداء والمضطربة التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك
فجمالية الرمز تكمن فيما " يحمله من طاقات الغموض والابهام، والايحاء بقصد استلهام عوالمه الغامضة بوصفها مؤشرات على الباطن الخفي، والداخل المستتر الذي لا تستوعبه إلا الطاقات الكشفية.48 "
وقد اعتمد جلاوجي على الرموز الخاصة أي التي ابتكرها لينقل لنا تجربته الروائية المحفوفة بالتوتر والغموض ليرسم لنا إبداعية ساحرة دخلت عالم التجريب من أرحب أبوابه

## الهوامش والمراجع :

بوشوشة بن جمعة: التجريب الروائي وارتحالات السرد المغاربي، المغاربية للنشر،ط1 ص 1 10

2 حسين خمري: فضاء المتخيل، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2002،ص،26

عزالدين جلاوجي: الأعمال الروائية غير الكاملة،دار الأمير خالد، سطيف، 2008، ص 3 440

4 م ن ص440

م ن ص 441 5

م ن ص 441 6

أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية: محاضرات الملتقى العربي الثالث للرواية، رابطة أهل القلم سطيف،ط 2008، ص21 7

8 حسن ناظم : مفاهيم الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،لبنان، ط1 2003،ص11

9 نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، ج 1، دار هومة، بوزريعة (د ط )، ص119

10 كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،ط1987،1،ص104

11 عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب المنيرة القاهرة (د ط)1982، ص199

12ـ عز الدين جلاوجي:الأعمال الروائية غير الكاملة، ص 439

13ـ المصدر نفسه، ص 461 ـ 462

14المصدر نفسه، ص438

15 المصدر نفسه، ص،440

16 محمد عروس :التجريب في الشعر الجزائري المعاصر،نصوص"من دس خف سيبويه في الرمل؟ "لعبد الرزاق بوكبة، مدونة تطبيقية، دار الألمعية، ط1، 2012 ص 86

17 محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د،ط)،1998،ص15

م ن ص86 18

محمد عروس: التجريب في الشعر الجزائري المعاصر، ص:1987

20 شادية شقروش: سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، ص 270

بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، ص34 21

عز الدين جلاوجي: راس المحنة1 +1=0 دار هومة، بوزريعة، الجزائر، ط2، 2004 ص 125 22

23 حسن حنفي:، التراث والتجديد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،ط1 1989،ص11

24 محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات،مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، بيروت،ط2001،3،ص25

25 نسيمة بوصلاح : تجليات الرمزية في الشعر الجزائري المعاصر، إصدرات رابطة إبداع الجزائر،2000، ص84

عزالدين جلاوجي : الأعمال غير الكاملة ، ص 449 26

المصدر نفسه، ص449 27

م ن، ص 462 28

29 م ن، ص 485

30 م ن، ص 485

31 م ن ص 465

م ن، ص450 32

م ن، ص 451 33

34م ن، ص 455

م ن، ص 477 35

36 م ن، ص 478
م ن، ص 478 37
38 م ن، ص 483
39 م ن، ص ص ن
40* النظام الذي انتهجه جل رؤساء أميركا والذي صرح به بوش الأب في أحد مؤتمراته.
41 م ن ص 483
م ن ص 470 42
م ن ص 470 43
44 م ن ص 439
م ن ص 440 45
م ن ص 454 46
47 عزيز لزرق: العولمة ونفي المدينة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002 ص، 139
48 عبد القادر فيدوح: الرؤيا والتأويل "مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة "، دار الوصال، وهران، الجزائر، د.ط 1994،ص 69 .